الإعلام والقضايا الخارجية

الإعلام والمسلمون فى أمريكا

بدأ الإسلام غريبًا وانتصر على المعادين له، وسيعود غريبًا وسينتصر على كل من يحاربونه، ويضعون العراقيل فى طريق انتشاره، هذه قضية مبدئية، المسلم يؤمن بها باعتبارها جزء من فهمه الصحيح لطبيعة الإسلام وتصوره للأشياء والأحياء على حد سواء.

ولقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فى حديث فحواه أن هذا الدين سينشر فى بقاع الأرض المختلفة فلا يدع مكانًا إلا ودخله بعز عزيز أو بذل ذليل عزًّا يُعز الله الإسلام وأهله وذلًّا يذل الله به الكفر وحزبه.

واليوم نرى بشرى رسولنا الكريم تتحقق فى دنيا الناس فنرى الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا، فى مشارق الأرض ومغاربها، حتى الأمريكان الذين يقودون حملة العداء ضد الإسلام والمسلمين، وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر دفعت الأمريكان دفعًا نحو اتخاذ موقف سلبى من الدعاة إلى الإسلام فى أمريكا نفسها أو من الدعاة الوافدين إليها من بلاد العرب و المسلمين .

الأمريكان اليوم الذين يقبلون على التعرف على الإسلام ويشترون بشكل واضح النسخ المترجمة للقرآن الكريم، وهذا ما تتناقله وسائل الإعلام من هنا وهناك، ولقد حدثنى أحد العلماء الثقات أنه فى آخر زيارة له بأمريكا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر أنه كان يفد إلى المركز الإسلامى بالولاية كان فيها عشرات من الأمريكان يطلبون الدخول فى الإسلام وإشهار إسلامهم، كل ذلك يحدث من غير أن تكون هناك جهود ملموسة للدعاة، ولكن الإسلام ينتشر ذاتيًّا ويقبل الناس عليه من تلقاء أنفسهم رغبة فى الخير ورهبة من مقت الله وغضبه.

ولذلك نرى أن المسلمين فى أمريكا كل يوم فى ازدياد ملحوظ، وأن الجالية المسلمة

هناك تعتبر من أكبر الجاليات، ولكن هذه الأعداد الغفيرة من المسلمين لا تعنى أنهم بلا مشكلات أو أنهم لا تواجههم صعوبات أو تحديات، والواقع والحقيقة أن المسلمين فى أمريكا رغم ازدياد عددهم وانتشارهم فى جميع الولايات الأمريكية، تواجههم بعض الصعوبات يمكن أن تنغص عليهم عيشهم أو تهدد وجودهم ومستقبلهم، ولقد زار أخى وصديقى الدكتور «عبد الجواد قنصوه» مملكة البحرين مؤخرًا والتقيته فحدثنى عن بعض المصاعب التى تواجه المسلمين فى أمريكا و يمكن رصدها فى النقاط التالية:

١- الحملة الضارية من الإعلام الأمريكى ورجال الكنيسة والمعابد على الإسلام والمسلمين؛ لأسباب كثيرة من أبرزها اليوم شدة إقبال الناس على الإسلام والدخول فيه وهؤلاء المعادون للإسلام خرجوا إلى الشوارع والأسواق يهاجمون الإسلام وأهله غير مكتفين بما يفعلونه فى كنائسهم وبيعهم، وهؤلاء المهاجمون على الإسلام لا يجدون من يرد عليهم إلا واحدًا من اثنين:

الأول: من يجيد الإنجليزية وليس لديه إلمام كافٍ بالشريعة الإسلامية وأساليب الحوار والجدل والمناظرة فيخرج من ساحة الحوار منهزمًا أمام الناس.

الثانى: من لديه إلمام بالشريعة الإسلامية ولكن لا يجيد لغة القوم ومن ثم لا يستطيع أن يوصل ما عنده أو يقنع الناس فيخرج منهزمًا أيضًا وتكون المحصلة اتهام القرآن والرسول والإسلام وأهله.

٢- عدم قدرة العلماء والدعاة والمربين القادمين من الشرق فى الحصول على تأشيرات دخول للولايات المتحدة فى الآونة الأخيرة.

٣- مطالبة إدارة الهجرة العلماء الذين ليس معهم إقامة أن يغادروا البلاد وهم أعداد كبيرة وفعلًا حدث وتركوا البلاد.

٤- رجوع طائفة كبيرة من الدعاة إلى الشرق مرة أخرى بعد أن جلسوا فترة وعندما بدؤوا يتفهمون المجتمع وقضاياه ومشكلاته وبدؤوا العطاء، تركوا مواقعهم ليتمكنوا من تربية أولادهم فى الشرق.

٥- العجز الحاد فى مدرسى اللغة العربية والتربية الإسلامية فى المدارس الإسلامية.

٦- العجز الحاد فى الأئمة والمربين والمرشدين الدينيين فى المساجد والمراكز الإسلامية لدرجة أن الجالية فى كثير من الأماكن والمساجد لا تجد من يصلى بهم أو يخطب لهم الجمعة.

٧- قطاع الشباب فى الجالية يزيد عن ٦٠٪ ولا يجد من يوجههم ويأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، وتلك هى أهم المشكلات مما يؤدى إلى:

- اقتناع الشباب بالذى يعرض عليهم ليل نهار من المبشرين والقنوات التبشيرية والوالدة النصرانية أو اليهودية أو البوذية تزوجها والده لسبب من الأسباب.
- ممارسة فريق منهم للرذيلة وأخلاق الأمريكان (ما يتعارض معنا) دون حياء أو خوف من الله.
- زواج الجنسيين ممن لا يجوز لهم الزواج منهم كالولد من بوذية والبنت من مسيحى أو يهودى.
- غيرنا يدخل الإسلام وأبناؤنا يخرجون منه.

٨- ضياع معالم الحلال والحرام وسط الجالية نظرًا لندرة العلماء والمرشدين.

٩- انتشار الأفكار المنادية بعصرنة الإسلام والتطاول على الثوابت الفقهية والعقدية بحجة تمحيص وغربلة التراث، وفى الجهة الأخرى الرواج للأفكار المتنطعة.

١٠- المدارس الحكومية تُعلِّم الإلحاد والفسوق والعصيان والتمرد على القيم وعدم احترام الآباء وأن الطالب حر فى بلد الحريات من حقه أن يفعل ما يشاء.

١١- المشكلات الاجتماعية والأسرية والخلافات التجارية بين المسلمين، لا حصر لها ولا تجد من يسهر عليها ويعالجها بروح الإسلام وصولًا بالأسر والشركاء إلى بر الأمان وإلى ما يرضى الله ورسوله، وهذه وحدها تستغرق وقت وجهد جيش من الدعاة ولا يوجد.

وإذا كانت هذه التحديات تواجه المسلمين فى أمريكا اليوم، فإن هناك العديد من المبشرات التى تثلج قلب المسلم فى كل مكان ولقد قال صلى الله عليه وسلم: «سيبلغ

هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، وليدخلن الله هذا الدين كل بيت مضر أو وبر» أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وإن من عظيم قدرة الله تعالى ولله الحمد والمنة - والكلام للدكتور «عبد الجواد قنصوة» - ما نراه فى أمريكا، وعلى الجالية المسلمة هناك والمتمثل فيما يلى :

١- يدخل الإسلام فى أمريكا كل يوم العشرات بل المئات ومن كل الأجناس وحتى الذين حاربوا منهم فى العراق والخليج والحمد لله نأخذ أفضل ما عندهم ويأخذون أسوأ ما عندنا إن وجدوه.

٢- يقرأ اليوم عن الإسلام كل الأمريكان ويسألون عنه وبذلك يفتح أبواب القبول للدخول فيه وتفهم قضاياه.

٣- إقبال الناس على معرفة الإسلام حتى لا تكاد تجد مصحفًا فى مكتبة من المكتبات فالكل مباع.

٤- اللغة العربية أصبحت إلزامًا يدرسها الطلاب فى الجامعات الكبرى كلغة سامية والمعاهد تدرسها حتى أصبحت فى كل مكان.

٥- عدد الطلاب والأساتذة الذين يكتبون أبحاث عن الإسلام أصبح ظاهرة فى الجامعات ومراكز البحث، ويُسلم من هؤلاء أعداد لا بأس بها.

٦- كثرة الوفود الطلابية والأساتذة ورواد الكنائس والمعابد الزائرة للمركز لدرجة أصبحنا لا نستطيع أن نحصيهم أو نجد لهم أوقاتًا للقاء.

٧- البرامج تتحدث عن الإسلام سلبًا وإيجابًا أصبحت ظاهرة فى الإعلام الأمريكى.

٨- أصبح للجالية الإسلامية نائبًا فى البرلمان وأقسم على القرآن بدلًا من الإنجيل عند القسم الدستورى وأمام الجميع.

٩- أصبح كثير من النواب يتفهم الأوضاع ويعترض على ما يحدث من الحكومة الحالية وذلك بفضل الله سبحانه ثم بفضل المجهودات يبذلها قادة الجالية فى توصيل وجهة النظر الأخرى.

١٠-أصبحت الحكومة ومراكز صنع القرار فى اتجاهين متضادين فى كيفية التعامل مع قضايا المسلمين الكبرى خارج أمريكا وهذه البداية.

١١-المراكز والمدارس الإسلامية فى كل مكان حتى المطارات، المحلات الكبرى والمستشفيات أصبحت تجد فيها أماكن مخصصة للصلاة فيها.

١٢-الأعياد والمناسبات الإسلامية يأخذ المسلمون فيها إجازات من أعمالهم دون حرج.

١٣-إصدار هيئة البريد الفيدرالى طوابع بريد تحمل الطراز والزخارف الإسلامية ومكتوب عليها باللغة العربية (عيد مبارك) وتوزع على مستوى الدولة وفى كل المكاتب.

١٤-اعتماد اللغة العربية كلغة ثانية يدرسها الطلاب بالمدارس فى الولايات بها جالية مسلمة كبيرة كنيويورك، وكاليفورنيا، وشيكاغو، والينوى، ومييسوتا وغيرها من الولايات.

هذه بعض ملامح الواقع الذى يعيشه المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية بآلامه وآماله، ولكن من الأشياء التى تدعو إلى التفاؤل والأمل، سعى الجالية المسلمة هناك إلى تحصين المسلم والمحافظة على هويته والقيام بإنشاء العديد من المؤسسات الدعوية والتعليمية التى تحقق لهم ذلك، ومن بين هذه المشروعات التعليمية التى يقوم بها المسلمون فى إحدى الولايات - كما حدثنى المشرف على المشروع الدكتور «عبد الجواد قنصوة» - مؤسسة علمية شرعية متخصصة لتخريج جيل من الدعاة والعلماء ومدرسى اللغة العربية من أبناء الجالية والذين يتحدثون لغة القوم وعرفوا حضارتهم وأن يكون دراسة هؤلاء على أيدى علماء أكفاء داخل أمريكا، الأمر الذى دعا إلى إشهار وتسجيل مؤسسة المركز الإسلامى للتعليم فى ولاية نورث كارولينا بمدينة شار لولت لاستكمال المشروع الذى يحتاج إلى تكلفة إجمالية ١٢ مليون دولار أمريكى، فهل يقوم أغنياء المسلمين وأصحاب الأموال منهم بدعم هذه المشروعات الدعوية ؟

وهل يقوم الإعلام العربى والإسلامى بما يجب عليه تجاه هؤلاء المسلمين الذين يتحملون الكثير فى بلاد الغرب والغربة لكى يبقى الإسلام موجودًا على الساحة ويبقى المسلمون متمسكون بدينهم ولا يقعون فريسة للإعلام الغربى ؟.

تداعيات أحداث ١١ سبتمبر على الدعوة

تمرعلينا كل عام ذكرى جديدة لأحداث الحادى عشر من سبتمبر والتى وقعت فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١م وذلك بتدمير برجى التجارة العالمية بنيويورك وضرب مبنى البنتاجون (وزارة الدفاع) بواشنطن، ولا شك أن هذه العملية من أخطر العمليات والضربات التى وجهت إلى الولايات المتحدة فى عقر دارها، ولها من المعانى والدلالات ما لها !

ونحن هنا لن نسعى إلى الإجابة عن السؤال التقليدى الذى طُرِحَ ولا يزال فى هذا الصدد، وهو من المسئول عن هذا العمل الإجرامى، الذى أوقع الولايات المتحدة الأمريكية ومعها دول العالم أجمع فى جو من الاضطراب والاختناق والشك والاحتقان، لدرجة أن تحول شكل العالم بعد وقوع هذه الأحداث الجسَام، وصار هذا الحدث علامة بارزة فى تاريخ العالم كله، وأثر تأثيرًا بالغًا، ليس على أمريكا فحسب، ولكن قد بلغ تأثيره مداه حتى أثر بشكل ما على مجريات الأحداث فى بلدان العالم أجمع؟.

ولكن الذى نسعى إليه فى هذه الأسطر المتواضعة، أن نستكشف بشكل ما ونستوضح التداعيات والآثار التى أحدثتها هذه الأحداث على الدعوة الإسلامية، فى الداخل والخارج، ولا شك أن هذه الأحداث قد وقعت فى وقت عصيب كانت تمر به الدعوة الإسلامية خارجيًّا وداخليًّا، ونقصد بالداخل، أى حال الدعوة فى البلاد العربية والإسلامية، ونقصد بالخارج، أى حال الدعوة فى البلاد غير الإسلامية والعربية، أى المجتمعات الأوربية والأمريكية، ففى الداخل كانت الدعوة الإسلامية تعيش ظرفًا صعبًا من المضايقات الأمنية والحصار الغليظ الذى يُفرض على حركة الدعاة إلى الإسلام سواء أخذ صورة المنع والإبعاد أو صورة التضييق والمحاصرة،

ولكن رغم ذلك كله كانت الدعوة تسير سيرًا ملحوظًا فى أوساط لم تكن تعهدها من قبل، ومن الملاحظ أيضًا فى مسار الدعوة على المستوى الرسمى قبل أحداث سبتمبر أن البُعد الدولى لها والعالمى لم يكن يأخذ حظه من الذكر أو التعريف به، وكان حال الدعاة الرسميين من خلال أحاديثهم وخطبهم يميل إلى محلية الخطاب والتقوقع حول قضايا ومسائل نقلت بحثًا وخطبًا.

ولكن الملاحظ والمراقب والمتابع الجيد لسير الدعوة الإسلامية فى الداخل وخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر الماضى عام ٢٠٠١ يستطيع أن يسجل ما يلى:

أولًا: زيادة درجة الملاحقات الأمنية، الأمر الذى صاحبه حالات من المداهمات.. والاعتقالات وتلفيق الاتهامات وتقديم العديد من أصحاب الفكر والدعوة إلى المحاكمات، وصدور أحكام على البعض منهم تتراوح بين ثلاثة وخمس سنوات.

ثانيًا: تصاعُد صور الاعتداءات الإسرائيلية على أبناء الشعب الفلسطينى الأعزل، وتعددت هذه الصور ما بين قتل وتدمير واعتقال وتهجير وتجريف وتخريب، كل ذلك حدث أمام عين العالم أجمع، ولكن لا مجير ومغيث، بل إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية صرح وسط هذا الغبار الكثيف وفى ظل هذه الاعتداءات الإجرامية الوحشية للجنود الصهاينة، بأن وصف مجرم الحرب شارون بأنه «رجل سلام»، ولقد كتب الدكتور «عصام العريان» فى جريدة آفاق عربية العدد (٥٧٤) بعنوان «الحصاد المُر.. سنة على أحداث سبتمبر» يقول: تزامن صعود انتفاضة الأقصى المباركة وبداية أزمة الكيان الصهيونى الكبرى مع وقوع أحداث سبتمبر، وبدأ الربط الخبيث بين ما وقع وبين الانتفاضة، والإيحاء لدى المواطن الأمريكى العادى بأن اليهود هم ضحية العرب والمسلمين كما كان هو ضحية العرب الذين قاموا بالهجوم الغادر الإرهابى فى سبتمبر، وأن المسلم هو إرهابى بطبعه، ونجح «شارون» فى الحصول على تأييد كامل من الرئيس الأمريكى «بوش.. الابن» فليراجع هذا المقال من يريد أن يقف على أخطر ما مُنيت به القضية الفلسطينية من خسائر بسبب تداعيات سبتمبر.

ثالثًا: استشعار الكثير من المسلمين لحقيقة وطبيعة الصراع بين الشرق والغرب وبين الإسلام والصهيونية والمسيحية العالمية التى يؤمن بها قادة أمريكا، وازدياد حالة الكراهية لدى العرب والمسلمين لكل من الصهاينة وإدارة الأمريكان، الأمر الذى

جعل هذا السؤال يفرض نفسه على الساسة والخبراء والصحافة والإعلام.. لماذا يكره العرب والمسلمون أمريكا ؟!

رابعًا: تغيير لغة لخطاب الرسمى، السياسى والدينى الموجه إلى العالم الخارجى بعد أحداث سبتمبر، فقد ظهر كبار المسئولين فى العالم العربى والإسلامى يدافعون عن الإسلام المتهم بالإرهاب وينافحون عن التاريخ والحضارة والأمة الإسلامية المتهمة بالتخلف والهمجية وفتحت وسائل الإعلام أبوابها وصفحاتها لكبار العلماء والأدباء والمثقفين والمفكرين والمسئولين والمهتمين لشرح حقيقة الإسلام وبيان عظمته وسماحته وقبوله للآخر وبيان الدور التاريخى والحضارى الناصع للأمة الإسلامية التى قدمت للإنسانية عطاءً زاخرًا فى العلم والثقافة والفنون والأدب، لولاه لتأخر درب الإنسانية قرون طويلة.. وشارك فى هذه الحملة الخطباء فى المساجد، فتناولوا قضايا وموضوعات تتسم بالعالمية لا المحلية والإقليمية، هذا بالإضافة إلى شعور الجماهير المسلمة بحقيقة الأخوة الإسلامية العالمية.

خامسًا: تحرك القيادات الدينية الرسمية تحركًا عالميًّا، وإن كان يتسم بالبطء وضعف الإمكانات والخبرات والقدرات، وكان ذلك واضحًا فى إقامة مواقع لكثير من الهيئات والمؤسسات الدينية على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب وتقديم الصورة السليمة التى عليها الدين الإسلامى الحنيف للآخر، هذا بجانب قيام مؤسسة كبرى مثل الأزهر الشريف بترجمة النتائج والتوصيات التى توصل إليها مؤتمر «هذا هو الإسلام» الذى أقامه مجمع البحوث الإسلامية، إلى كل اللغات الحية فى العالم من إنجليزية إلى فرنسية وألمانية وروسية وصينية... إلخ، والقيام بوضعها على موقع الأزهر على «الإنترنت» وإرسالها إلى جميع التجمعات والسفارات والجامعات فى العالم أجمع.

هذه هى بعض الآثار التى نجمت عن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الدعوة الإسلامية فى الداخل بحلوها ومُرِها وإيجابياتها وسلبياتها، وقد يكون هناك آثار أكثر وأخطر لم تظهر فى الأفق الآن ولكن عندما يكشف الستار عن بعض المواقف الخفية والوثائق السرية، فسوف يمكن للباحثين أن يقفوا على المزيد منها مستقبلًا.

أما عن الآثار التى نجمت عن أحداث ١١ سبتمبر على الدعوة الإسلامية فى الخارج فيمكن رصدها فى النقاط التالية:

أولًا: لقد وقعت هذه الأحداث الخطيرة والدعوة الإسلامية فى الغرب، تشهد صحوة وتناميًّا متصاعدًا لدرجة جعلت البعض يقولون بأن النصر للإسلام قادم بين الغرب، وفجأة وقعت الواقعة، فتوقف البعض عن المُضى فى السعى نحو أهدافه المرسومة ليتابع الموقف عن كثب وليتعامل معه وفقًا للمقتضيات المطلوبة.

ثانيًا: تحرك أصابع الاتهام الأمريكى تجاه العرب والمسلمين، واتهامهم بأنهم مدبرو الحادث ومنفذوه، وذلك بلا تريث ولا إثبات أو تحقيق !!

ثالثًا: وصم العرب والمسلمين بأنهم إرهابيون، يجب محاسبتهم، وإن كان هذا الموقف تراجع عنه الكثيرون من أهل الغرب وخاصة الساسة منهم وعلى رأسهم الرئيس الأمريكى «بوش الابن» على الرغم من قول البعض بأن هذا صك ذات أهداف سياسية، نقول: إننا فى حاجة إلى هذا الصك السياسى، فى هذه المرحلة بالذات، لأننا نملك بالفعل صكًّا شرعيًّا من الله تعالى بأننا براءٌ من قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق.

رابعًا: الهجوم على التاريخ والحضارة الإسلامية ووصفها بالنقائص كما فعل رئيس وزراء إيطاليا «سلفيو بيرلسكونى» وإن قام بعد ذلك بالاعتذار وأنه لم يكن يقصد الإساءة للإسلام.

خامسًا: التضييق على العرب والمسلمين فى أمريكا وأوربا فى السفر والعودة والإقامة وافتعال المشاحنات معهم والمضايقات لهم ومحاولة التهجم على حجاب نسائهم، وإن لم يخل المشهد من صور مضادة ومغايرة لما سبق ذكره من محاولات بعض الأمريكان من الدفاع عن الأسر المُسلمة والقيام بزيارتهم فى منازلهم.

سادسًا: الهجوم الأمريكى الغاشم على أفغانستان، بزعم أنها تأوى رءوس الإرهاب وعناصره المتمثلين فى تنظيم القاعدة الذى يقوده «أسامة بن لادن».

سابعًا: محاولة الإدارة الأمريكية الضغط على الحكومات العربية والإسلامية، لتقليص الدور الذى تقوم به المدارس الدينية بزعم أن هذه المدارس هى التى تُفَرِّخ

الإرهاب، ودعوة تلك الحكومات لمراجعة لغة الخطاب الدينى لديها ومراجعة المناهج الدينية فى المدارس العامة.

ثامنًا: فى إطار المحاولات الأمريكية لمواجهة ومحاربة الإرهاب تم تضليل الرأى العام عندما خلطت الإدارة الأمريكية بين الإرهاب المزعوم وبين الجهاد المشروع، وبين حق الشعوب فى المقاومة والدفاع عن عرضها وأرضها ومقدساتها وبين سلب ونهب الحقوق واغتصاب الأرض والعرض من قِبل المحتلين المستعمرين والغاصبين المجرمين.

تاسعًا: فى ظل هذه الأجواء المكفهرة، تساءل كثير من الغربيين عن حقيقة الإسلام وسارعوا على اقتناء الكتب الإسلامية المترجمة وعلى قراءة معانى وتفسير القرآن الكريم المترجمة أيضًا لدرجة خلت معها أرفف المكتبات داخل أروقة المراكز الإسلامية وخارجها من الكتب والمجلات التى تتحدث عن الإسلام، وفى هذه الأجواء أيضًا حدث ما لم يكن متوقعًا، فقد زاد على المقبلين على الإسلام، حتى لا يكاد أن يمر يوم فى أمريكا وأوربا إلا ويدخل فيه عشرات الإسلام من أهل البلاد الأصليين.

عاشرًا: اكتشفت الإدارة الأمريكية أن لديها جالية عربية وإسلامية، بل اكتشفت أن لدى هذه الجالية مؤسسات وجمعيات وأنشطة وفعاليات، وأن هذه المؤسسات كفيلة بأن تقدم الصورة الواقعية والصحيحة عن العرب والإسلام والمسلمين، كما اكتشفت الإدارة الأمريكية أن ملف الإسلام والمسلمين لا يجب أن يترك للصحافة والإعلام بل يحتاج إلى مجهود كبير داخل أمريكا ذاتها قبل البحث عن مترجم من الحكومات العربية والإسلامية.

حادى عشر: لأول مرة تعامل الإدارة الأمريكية المؤسسات والمنظمات الإسلامية والعربية على أنها مؤسسات محترمة.. ولأول مرة يزور رئيس أمريكا مركزًا إسلاميًّا ويستقبل وفدًا يمثل هذه المنظمات.

ثانى عشر: خروج العديد من المفكرين والكُتاب الأمريكيين عن الصمت وطالبوا حكومتهم بالتعرف على الإسلام من مصادره الصافية والطبيعية وليس عبر وسطاء.

ثالث عشر: تحول الآلة الإعلامية الغربية من موقف العدو إلى موقف لم يرق إلى مستوى الصداقة وإن ابتعد عن مستوى العداء السافر وخرجت تصريحات كبار الساسة فى عموم أوربا لتؤكد على تقديرهم للإسلام وللدور الذى يقوم به على حد قول الدكتور «حمزة زوبع» فى مقاله بعنوان: «وضع المسلمين والإسلام بعد أحداث سبتمبر مصائب تنتهى بفوائد».. وبعد، فهذا ما وفقت إلى الوقوف عليه فى هذا الموضوع، وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يكفر عنا الخطايا والسيئات..

الإعلام والحرب على غزة

من هؤلاء الخاسرون فى ملحمة الفرقان على أرض غزة ؟ لاشك أن هؤلاء كثيرون، ونحن لن نتحدث عن خسارتهم التى سيمنون بها فى الآخرة، وسنقصر حديثنا عن خسارتهم فى الدنيا، أما خسارة هؤلاء فى الآخرة فإننا نكلها إلى الله يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم لا ينفع ما ل ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، فالمقت والغضب فى الدار الآخرة لهؤلاء الخاسرين الظالمين الذين أفسدوا وأهلكوا النسل والحرث.

إن أول هؤلاء الخاسرين هم الصهاينة المعتدون. الذين شنوا هجومًا شاملًا غادرًا على أهل القطاع، إذ صب عليهم الصهاينة نيرانهم من الجو بالطائرات ومن البر بالمدافع والمصفحات والدبابات ومن البحر بالغواصات والقاذفات، واستخدموا القنابل العنقودية والفوسفورية المحرمة دوليًّا، وتقف من ورائهم فتاوى دينية شيطانية تبارك صنيعهم وتؤيد جرائمهم، وتبرر أفعالهم الإجرامية، فلقد صدرت عدة فتاوى من مرجعيات دينية يهودية تبارك ما يقوم به جيش الصهاينة من أعمال قتل فى غزة، وتبيح وتبرر له قتل النساء والأطفال، ورأى أحد الحاخامات أنه لا مشكلة فى القضاء على الفلسطينين فى القطاع حتى لو قتل منهم مليون أو أكثر، وبعث الحاخام «مردخاى إلياهو» – الذى يعتبر المرجعية الدينية الأولى للتيار الدينى القومى فى الكيان الصهيونى – برسالة إلى رئيس وزرائهم «إيهود أولمرت» ذكر فيها، قصة المجزرة التى تعرض «شكيم بن حمور» والتى وردت فى سفر التكوين كدليل على النصوص التوراتية التى تبيح لليهود فكرة العقاب الجماعى لأعدائهم وفقًا لأخلاقيات الحرب، وقال «إلياهو»: إن هذا المعيار نفسه يمكن تطبيقه على ما حدث فى غزة، حيث يتحمل جميع سكانها المسئولية، لأنهم لم يفعلوا شيئًا من شأنه وقف إطلاق صواريخ القسام، ودعا إلى مواصلة شن الحملة العسكرية على غزة معتبرًا أن المس بالمواطنين الفلسطينين الأبرياء أمر شرعى!!.

أى شرع هذا وأية شريعة تلك التى تبيح لأتباعها القتل والعدوان بغير الحق، إنها حقًا شريعة الغاب.

فهذه الحرب غير المتكافئة، والتى شنها الصهاينة على أهل غزة، وباركتها الحاخامات المتطرفة وأيدها القادة العسكريون والساسة وغيرهم من القوى السياسية داخل الكيان الصهيونى، وهدفوا من وراء حربهم تركيع أهل غزة والقضاء على المقاومة، وإعادة تقسيم القطاع بعد احتلاله، وإنهاء نفوذ السلطة الشرعية بقيادة إسماعيل هنية، إلى غير ذلك من أهداف معلنة وغير معلنة، ولكن ماذا حدث ؟

لقد توقفت الحرب، وقام الجيش بما لديه من آليات عسكرية غاشمة، بقتل النساء والأطفال والشيوخ وهدم المساجد والمدارس والمستشفيات وتدمير البنية التحتية للقطاع، ولكنه لم يحقق شيئًا من أهدافه العديدة التى ظل يعلن عنها ويغير فيها إبان فترة العدوان، فلا أهل غزة ركعوا أمام بطش الاحتلال أو تحت سطوة النيران، بل رآهم العالم كله أكثر تماسكًا وثباتًا، ولم نسمع ولو لمرة واحدة، من واحد من شعب غزة، أنه غاضب من المقاومة أو رافض لها أو ساخط على حكومته، بل كل من شاهدناهم على شاشة التلفاز أو سمعناهم عبر الأثير أو قرأنا عنهم الصحف، يحتسبون قتلاهم شهداء عند الله، ويعلنون تمسكهم بحقهم بالحياة وعيشهم على تراب أرضهم ويصبون جام غضبهم ونقمتهم على العدوان والاحتلال الذى هو أس البلاء وسبب الخراب والدمار.

ألا يصب كل ذلك فى غير مصلحة دولة الاحتلال، ويعظم من خسارتهم، ويعجل برحيلهم عن أرض الإسراء التى دنسوها منذ وطئتها أقدامهم، ويؤكد على أن مقاومة أهل غزة لهم، قد جدعت أنوفهم، وأذلت كبرهم، وأثبتت بالقول والفعل بأن الجيش الذى لا يقهر وقوة الردع الصهيونية، أكذوبة كبرى، وخاصة عندما يوجهها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولهذا نسمع من كبرائهم أنهم ما أوقفوا عدوانهم وحربهم على أهل غزة إلا لأنهم تعبوا، ولأن إدارة الحرب مهمة ليست سهلة بالمرة، وتحمل فى طياتها الكثير من الصعاب، وأنا أقول: ليس التعب وحده الذى لحق بالصهاينة المعتدين، وإنما كذلك الخزى والعار والشنار.

وهذا وزير خارجية الكيان الصهيونى الأسبق «شلومو بن عامى» يقول: إن قرار

شن الحرب على غزة كان خطأ منذ البداية ولم يكن لها أى داع بتاتا، ووصف ما حدث فى غزة بالدراما والمأزق السياسى الذى وقعت فيه الحكومة اليهودية، والحل أمامها سيكون سياسيًّا وليس عسكريًّا، وإن دولتهم خسرت الكثير على الصعيد السياسى والدبلوماسى وأمام الرأى العام الدولى، حيث سيدرك القادة الأمر لاحقًا.

كما قالت صحيفة «كرونكل هيرالد» الكندية: إن قوات الاحتلال الصهيونى رغم كل الدمار والمذابح التى أحدثتها فى غزة، لم تستطع القضاء على حماس، كما كانت تأمل، بل تلطخت صورتها أمام العالم ولاقت احتجاجات واسعة النطاق ضد الحملة العسكرية الشرسة فى قطاع غزة ذى الكثافة السكانية الهائلة. ألا يكفى ذلك تدليلًا على مدى الخسارة التى لحقت بالكيان الصهيونى جراء قيامه بالعدوان الغاشم على أهل غزة، وأن قادة الاحتلال لم يكونوا فى وعى كامل بحقيقة الموقف، وأنهم ظنوا أن عدوانهم على غزة والانتهاء منه لا يستمر أكثر من ثلاثة أيام معدودة، ولكن المفاجأة كانت لديهم مذهلة إذ مرت عشرة أيام وعشرون يومًا ولم يحققوا شيئًا من أهدافهم سوى التخريب والتدمير والهدم والقتل فى النساء والشيوخ والأطفال، فماذا يكون ذلك ؟ وبما نسمى ذلك التسمية الحقيقية له ؟ أليس ذلك هو الانهزام والانكسار والخسارة، بكل ما تعنيها الكلمة ؟

وهذا شاهد آخر على هزيمة الكيان الصهيونى وخسارته فى عدوانه وحربه على قطاع غزة، صحيفة «هاآرتس» العبرية قالت: إنه مع عودة آخر جندى إسرائيلى كان دون جدوى، وأن هذه الحرب انتهت بالفشل الذريع لإسرائيل، وأن هذا يتجاوز الفشل الأخلاقى العميق، الذى يعد الأخطر فى حد ذاته.

وتقول الصحيفة العبرية: إنه بالنظر إلى الهدف الأول من الحرب، وهو وضع حد لإطلاق صواريخ القسام، فإن الصواريخ لم تتوقف، حتى آخر يوم من الحرب.. كما يقدر مسئولون فى وزارة الحرب اليهودية أن حماس ما زالت تمتلك آلاف الصواريخ، وبالنسبة للهدف الثانى من الحرب وهو منع التهريب، فلم يتحقق أيضًا حيث أوضح رئيس جهاز الأمن «الشين بيت» أن عملية التهريب كما كانت فى غضون شهرين، كما أوضحت الصحيفة أن قدرة الكيان الصهيونى على تحقيق الهدف الثالث أيضًا مشكوك فيها، فالردع الذى من المفترض تحقيقه لم يكن له أى تأثير على حركة حماس، وأن حماس

لم تضعف، فالغالبية العظمى من مقاتليها لم تتضرر، والتأييد الشعبى لها قد تزايد، وأن هذه الحرب كشفت روح المقاومة وقدرتها على التحمل.

(لقد سبق أن قلنا، إن الخاسرين فى ملحمة الحرب على غزة كثيرون، فليس الصهاينة المحتلون المعتدون وحدهم، هم الذين خرجوا من هذه الحرب فى خسارة وخذلان، بل ينضم إليهم كل من تواطأ معهم أو أيدهم أو دعمهم، أو صمت على جرائمهم أو برّر عدوانهم، أو نافقهم أو حسب لهم حسابًا، أو أنزلهم من نفسه منزلًا، كل هؤلاء خرجوا من هذه الحرب صفر الوجوه واليدين، بل سود الوجوه واليدين، هذه الدول أو تلك الهيئات التى باركت العدوان وأيدت الاحتلال، بل و دعمته وساندته، إن لم يكن عسكريًّا فسياسيًّا، هؤلاء جميعًا، انكشفت سوءاتهم وبانت خدعهم، وأضحت شعوبهم لا تصدقهم ولا تثق فيهم، وأنا أقصد بالدول والهيئات، الحكام والمسئولين، لا الشعوب والجماهير، وهذا تحديد لا بد منه؛ لأن الفارق شاسع بين الحكومات والحكام وبين الشعوب والجماهير، والحقيقة أن شعوب العالم فى معظمها تخالف نهج حكامها، الذين تحالفوا مع الاستعمار الجديد وتعاونوا مع قوى الاحتلال والعدوان، وإن كان ذلك على حساب مصالح دولهم وشعوبهم؛ لأنهم فهموا خطأ أن ذلك يصب فى مصالحهم الشخصية ويسند كراسيهم المائلة والمرتعشة، ولكن هذا وهم كبير، وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح ، والعاقبة للمجاهدين والمقاومين والخزى والخسران للمنبطحين والمنافقين من الإعلاميين والسياسيين والمحللين الذين يقولون ما لا يفعلون ويهرفون بما لا يعلمون ولا يعرفون، وغدًا سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.